سلسلة
كتب
السعدية

من كلام الإمام العيدروس
في مدح
الإمام الغزالي وكتبه

جمع وترتيب

السيد محمد بن علوي العيدروس (سعد)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف الأنبياء وإمام المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .

وبعد .. فهذه نبذة من كلام الإمام عبد الله بن أبي بكر العيدروس فيما قاله في الإمام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي وفي كتابه إحياء علوم الدين نفعنا الله ببركاته .. آمين

محمد بن علوي العيدروس

كان الإمام السيد الجليل كبير الشأن تاج العارفين وقطب الأولياء الشيخ عبد الله بن أبي بكر العيدروس رضي الله عنه يكاد يحفظه نقلاً وروي عنه أنه قال : " مكثت سنين أطالع كتاب الإحياء كل فصل وحرف منه وأعاوده وأتدبره ، فيظهر لي منه في كل يوم علوم وأسرار عظيمة ، ومفهومات غزيرة غير التي قبلها .. " ، ولم يلحقه أحد أثنى على كتاب الإحياء بما أثنى عليه ، ودعا الناس بقوله وفعله إليه ، وحثَّ على التزام مطالعه والعمل بما فيه .

ومن كلامه رضي الله عنه : " عليكم يا إخواني بمتابعة الكتاب و السنة أعني الشريعة المشروعة في الكتب الغزالية ، خصوصاً كتاب ذكر الموت ، وكتاب الفقر و الزهد ، وكتاب التوبة وكتاب رياضة النفس " .

ومن كلامه : " عليكم بالكتاب و السنة أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً وفكراً واعتباراً واعتقاداً . وشرح الكتاب و السنة مستوفي في كتاب إحياء علوم الدين للإمام حجة الإسلام الغزالي رحمه الله ونفعنا به " .

ومن كلامه رضي الله عنه : " وبعد فليس لنا طريق ومنهاج سوى الكتاب والسنة وقد شرح ذلك كله سيد المصنفين وبقية المجتهدين حجة الإسلام الغزالي في كتابه عظيم الشأن الملقب (أعجوبة الزمان) إحياء علوم الدين الذي هو عبارة عن شرح الكتاب والسنة والطريقة " .

ومن كلامه : " عليكم بملازمة كتاب إحياء علوم الدين . فهو موضع نظر الله وموضع رضا الله . فمن أحبه وطالعه وعمل بما فيه فقد استوجب محبة الله ومحبة رسول الله ومحبة ملائكة الله وأنبيائه وأوليائه . وجمع بين الشريعة والطريقة والحقيقة في الدنيا والآخرة . وصار عالماً في الملك والملكوت " .

ومن كلامه الوجيز العزيز : " لو بعث الله الموتى لما أوصوا الأحياء إلاّ بما في الإحياء ".

ومن كلامه : " تأثير كتب الغزالي ظاهر مجرب عند كل مؤمن ".

ومن كلامه : " أجمع العلماء العارفون بالله على أنه لا شيء أنفع للقلب وأقرب إلى رضا الرب من متابعة حجة الإسلام الغزالي ومحبة كتبه . فإن كتب الإمام الغزالي لباب الكتاب والسنة . ولباب المعقول والمنقول والله وكيلٌ على ما أقول ".

ومن كلامه : " أنا أشهد سراً وعلانيةً أن من طالع كتاب إحياء علوم الدين فهو من المهتدين ".

ومن كلامه : " من أراد طريق الله وطريق رسول الله وطريق العرفين بالله وطرق العلماء بالله أهل الظاهر والباطن فعليه بمطالعة كتب الإمام الغزالي خصوصاً كتاب إحياء علوم الدين فهو البحر المحيط .

ومن كلامه : " إشهدوا على أن من وقع على كتب الغزالي فقد وقع على عين الشريعة والطريقة والحقيقة " .

ومن كلامه : " من أراد طريق الله ورسوله ورضاهما فعليه بمطالعة كتب الغزالي وخصوصاً البحر المحيط إحياؤه (أعجوبة الزمان) " .

ومن كلامه : " نطق معاني معنوي القرآن ولسان حال قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلوب الرسل والأنبياء وجميع العلماء بأمر الله الأتقياء بل جميع أرواح الملائكة بل جميع فرق الصوفية مثل العارفين والملامتيه بل جميع سر حقائق الكائنات والمعقولات وما يناسب رضا الذات والصفات ؛ أجمع هؤلاء المذكورين أن لا شيء أرفع وأنفع وأبهى وأبهج وأتقى إلى رضا الرب كمتابعة الغزالي ومحبة كتبه . وكتب الغزالي قلب الكتاب والسنة . بل قلب المعقول والمنقول . وأنفع يوم ينفخ إسرافيل في الصور

وفي يوم نقر الناقور . والله وكيلٌ على ما أقول وما الحياة الدنيا إلاّ متاع الغرور " .

ومن كلامه : " كتاب إحياء علوم الدين فيه جميع الأسرار . وكتاب بداية الهداية فيه التقوى . وكتاب الأربعين الأصل فيه شرح الصراط المستقيم . وكتاب منهاج العابدين فيه الطريق إلى الله . وكتاب الخلاصة فيه الفقه وفيه النور ".

ومن كلامه : " السر كله في إتباع والسنة وهو إتباع الشريعة . والشريعة مشروحة في كتاب إحياء علوم الدين المسمى (أعجوبة الزمان) " .

قال الإمام عبد الله بن أبي بكر العيدروس في كتابه البخبخه يمدح كتاب إحياء علوم الدين للغزالي :

من وُزق محبة كتب الغزالي والعمل بما فيهن وتلاوة القرآن ترتيلاً وتدبر الآيات بقلبٍ

صافٍ ؛ وصل إلى المطلوب طوبى لمن تعلم القرآن وعلّمه .

بَخٍ بَخٍ لمن اتبع الكتاب والسنة وطالع كتاب أبي حامد الغزالي .

بَخٍ بَخٍ لمن قرأ إحياء علوم الدين وجعلها شغله وشاغله .

بَخٍ بَخٍ لمن طالع إحياء علوم الدين .

بَخٍ بَخٍ لمن قرأ كتاب إحياء علوم الدين ونعم فيصل الإنسان المذكور في سور القرآن المخاطب بخطاب القرآن ، وهو المتصف بالعبادات المقيَّد بحركاته وسكناته بإتباع الآداب الشرعيات ، أعني متصفاً بما في كتب العبادات ، المتخلي من صفات المهلكات ، المتحلي بما في كتب المنجيات وهي أربعون كتاباً : عشر كتب في العبادات .. وعشر كتب في العادات .. وعشر كتب في المهلكات .. وعشر كتب في حياة سرور ومعارف المنجيات .

فالإحياء حارٍ بعلم الشريعة وعلم الحقيقة وعلم الطريقة وعلم الفقه وعلم التصوف . وجميع العلوم والأعمال مشروحة في كتاب إحياء علوم الدين .

بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ الإحياء عروسة ومحبوبه في ليله ونهاره .

بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ الإحياء أهله وماله ووطنه .

بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ الإحياء سميره وجليسه.

بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ الإحياء معلمه وشيخه .

بَخٍ بَخٍ لما اتخذ الإحياء خلعه ونخله وداره وقرابته وولده وجميع محبوبائه .

بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ مطالعة الإحياء مقعده وراحته وحديثه ومخاطبته .

بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ الإحياء سلطانه ومملكته.

بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ مطالعة كتاب إحياء علوم الدين ذريعه إلى وحشة قبره حتى يكون أنيسه .

بَخٍ بَخٍ لمن جعل مخالطته ومحادثته ومجالسته ومذاكرته مطالعة أعجوبة الزمان.

بَخٍ بَخٍ لمم حصل كتاب إحياء علوم الدين وجعله ميراثه لأولاده .

بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ مطالعة الإحياء بستانه وفواكهه .

بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ مطالعة كتاب إحياء علوم الدين حرثه ودينه .

بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ مطالعة كتاب إحياء علوم الدين والعمل بما فيه قراءته ومتجره وسلوكه ومطلبه .

بَخٍ بَخٍ لمن ولع قلبه بمحبة كتب الغزالي في جميع عمره .

بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ مطالعة إحياء علوم الدين سوقه وحرفته .

بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ مطالعة إحياء علوم الدين خلواته وموضع راحته .

بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ مطالعة كتاب إحياء علوم الدين عوضاً عن غروره في عطبه وحريرته وجوبته .

بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ مطالعة كتاب إحياء علوم الدين سروره وزوجته .

بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ مطالعة إحياء علوم الدين عوضاً عن مخالطة منافقي زمانه . يظهرون البشاشة في وجهه . وينهشونه في غيبته .

بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ إحياء علوم الدين حصنه ومنعته .

بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ مطالعة إحياء علوم الدين لهوه وراحته .

بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ مطالعة إحياء علوم الدين ثيابه ونشرته .

بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ مطالعة إحياء علوم الدين قمصانه وكسوته .

بَخٍ بَخٍ لم اتخذ مطالعة كتاب إحياء علوم الدين سفره وموسمه .

بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ مطالعة إحياء علوم الدين قماشاته ومركبه .

بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ مطالعة إحياء علوم الدين موضع والده ووالدته .

بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ مطالعة إحياء علوم الدين ذهبه وفضته .

بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ مطالعة إحياء علوم الدين أعراسه وزينته .

بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ مطالعة إحياء علوم الدين بخوراته ومشموماته .

بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ مطالعة إحياء علوم الدين يساره وزيادته .

بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ مطالعة إحياء علوم الدين عوضاً من شجره ومعلاته ومسفلته .

بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ مطالعة إحياء علوم الدين فراشه وراحته .

بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ مطالعة إحياء علوم الدين عوضاً من طبايخه وصفته .

بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ مطالعة إحياء علوم الدين زاويته ومطبخه .

بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ مطالعة إحياء علوم الدين مباهاته وفرحته .
بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ مطالعة إحياء علوم الدين محرابه وخلوته .
بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ مطالعة إحياء علوم الدين دياره وغرفته .
بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ مطالعة إحياء علوم الدين سلاحه ورايته إلى موضع فقره وحاجته في قبره .
بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ مطالعة إحياء علوم الدين مسكه ونوافحه .
بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ مطالعة إحياء علوم الدين لقناصة الصيد وموارده .
بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ مطالعة إحياء علوم الدين حرثه وزراعته . وثماره وغيوثه .
بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ مطالعة إحياء علوم الدين سلامته من مخالطة حساده وأهل عداوته والمنافقين في وجهه .

بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ مطالعة إحياء علوم الدين سماعه ووجده وتواجده .
بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ مطالعة إحياء علوم الدين خريفه ورزامته .
بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ مطالعة إحياء علوم الدين نحوه وعلمه .
بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ مطالعة إحياء علوم الدين حليته وجماله .
بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ مطالعة إحياء علوم الدين مداينته وتجارته .
بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ مطالعة إحياء علوم الدين علم لغته وعلم تصريفه .
بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ مطالعة إحياء علوم الدين من جميع الخلق جليسه ومذاكره .
بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ مطالعة إحياء علوم الدين لِلقاح عقله وصلاح قلبه وقالبه .
بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ مطالعة إحياء علوم الدين كنوزه وذخائره .

بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ مطالعة كتاب الإحياء إخوانه وأحبابه .

بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ مطالعة الإحياء موضع أحبابه ومشايخه .

بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ مطالعة الإحياء وسيله إلى نظر وجه ربه .

بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ مطالعة كتب الإحياء شفعاؤه إلى قرب حضرة ربه .

بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ مطالعة الإحياء وسيلة إلى تقوى ربه .

بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ مطالعة كتاب الإحياء للغزالي سلماً ومرقاة إلى معرفة ربه .

بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ مطالعة الإحياء درجات عند ربه .

بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ الإحياء مراده لمعرفة نفسه وربه .

بَخٍ بَخٍ لمن اتخذ مطالعة الإحياء ركوبه ومواسمه وبروزه وحواكه وقمصانه وطيلسانه وعمامته .

بَخٍ بَخٍ لمن اجتهد في مطالعة الإحياء طول عمره وليله ونهاره وجميع أوقاته .

بَخٍ بَخٍ لمن قرأ في كتب الغزالي وعمل بما فيها كتب الورع والزهد والتقوى ورضا الله ورضا رسول الله .

بَخٍ بَخٍ لمن قرأ أو كتب أو سمع إحياء علوم الدن في أوقاته .

قال السيد الكبير العارف بالله الشهير علي بن أبي بكر ابن الشيخ عبد الرحمن السقاف : " لو قلَّب أوراق الإحياء كافر لأسلم ، ففيه سرٌّ خفي يجذب القلوب شبه المغناطيس " .

ومما أنشده الشيخ علي بن أبي بكر رضي الله عنه في مدح الإحياء :

أخي انتبه والزم سلوك الطرائق
وسارع إلى المولى بجدٍ وسابق

أيا طالباً شرح الكتابِ وسنةٍ
وقانون قلب القلب بحر الرقائق

وإيضاح منهج للحقيقة مشرق
وشرب حميا صفو راح الحقائق

وإجلاء أذكار المعاني ضواحكاً
بباهج حسنٍ جاذبٍ للخلائق

عليك بإحياء العلوم ولبها
وأسرارها كم قد حوى من دقائق

وكم من لطيفات لذي اللب منهل
وكم من مليحات سبت لب حاذق

كتابٌ جليلٌ لم يصنَّف قبله
ولا بعده مثلٌ له في الطرائق

فكم من بديع اللفظ يجلي عرائساً
وكم من شموسٍ في حماه شوارق

معانيه أضحت كالبدور سواطعاً
على دُرِّ لفظٍ للمعاني مطابق

وكم من عزيزات زهت في قبابها
محجُبة عن غير كفوٍ مسابق

وكم من لطيفٍ مع بديع وتحفةٍ
حلاوتها كالشهد تحلو لذائق

بساتينُ عرفانٍ وروضُ لطائفٍ
وجنة أنواع العلوم الفوائق

رعى الله صباراً تعافى جنانه
يروح ويغدو بين تلك الحقائق

ويقطف من ذاكي جناها فواكهاً ... بساحل بحر بالجواهر دافق
خضم طمى حتى علا فوق من علا ... بشامخ مجدٍ مشرق بالحقائق
فإن لم بهذا القول تؤمن فجرّبن ... وأقبل على تلك المعاني وعانق
وأرجع طرفاً في بديع جمالها ... وطف في حماها منشداً كل سابق
ترى في بدور الحي أقماراً بدت ... بعالي جمالٍ مدهشٍ لبّ عاشق
فكم أنهلت صبّاً وكم قشعت عمى ... وكم قد سعت في غربها والمشارق
فيضحي براح الحب سكران مغرماً ... أصمّ عن العذال غير موافق
ويمسي يناديها طريحاً ببابها ... منعم عيش في الربوع الغوادق
صلاة على سر الوجود شفيعنا ... محمد المختار خير الخلائق
وأصحابه أهل المكارم والعلا ... وعترته ورّاث علم الحقائق

ومن كلام الإمام الشيخ عبد الرحمن السقاف : " من لم يقرأ الإحياء ما فيه حياء " وأكثر الأئمة وخصوصاً السادة العلوية تكاد لا تفارق مجالسهم الكتب الغزالية ، وخصوصاً إحياء علوم الدين الذي لم يصنّف مثله في الإسلام .

وقد قرأته مرتين والحمد لله في سجن المنصورة بعدن أيام الحزب الاشتراكي الشيوعي ، حيث حُبستُ ثلاث سنوات وسبعة أشهر بلا ذنب . وفي قبة الحبيب عبد الله بن أبي بكر العيدروس مرات . والمدرس صباح كل أثنين أسس خاصاً لقراءة الإحياء في القبة المذكورة . وقد ذكر الشيخ العلامة محمد بن عوض بافضل في إجازته للحبيب علي بن عبد الرحمن الحبشي لما عد والده الشيخ الفاضل عوض بن محمد بافضل . وقال فيه : " وحصلت له مزيَّة لم تحصل لغيره في ما أعلم وذلك أنه قرأ (الإحياء) للغزالي عند ضريح القطب الأشهر سيدنا عبد الله العيدروس الأكبر في مدة ثمانية وعشرين يوماً معتقداً صحة ما قاله العيدروس في الثناء على (الإحياء) . وعلى من قرأها ناوياً الأخذ والتلقي عنه ، فلما ختمها أخذته سِنَه وهو حول التابوت الذي يضم ضريحه ، فرأى كأنه في ميدان واسع . ورأى مجمعاً غاصّاً بأهله ،

وفي صدر الجمع منبراً وكرسياً منصوباً وسيدنا العيدروس جالساً عليه يلقن الحاضرين : (لا إله إلاّ الله) ويجيزهم في (الإحياء) خصوصاً . إلى ما رآه في تلك اللحظة السعيدة.

(قلت) ولما أخبر والدي السيدين عمر وعبد الله ابني عيدروس بتلك الرؤيا وسببها رتّبا مجلساً خاصاً لقراءة (الإحياء) عند ضريح سيدي العيدروس . واستمرَّ إلى وقتنا هذا .

من حُرم قراءة كتب الغزالي حُرم الفهم في دقائق التصوف . و من حُرم مطالعة كتب الغزالي أصرَّ على حب الدنيا وحب الرئاسة وحب الديوان وقربهم . و من حُرم قراءة كتب الغزالي قسى قلبه .

من حُرم قراءة كتب الغزالي خبّط في هواه وفي شواته . و من حُرم قراءة كتب الغزالي اغتاب المسلمين وأكل لحومهم .

من حُرم قراءة كتب الغزالي استعجب بنفسه وما عرف قدره وغفل عن عيوبه واشتغل بعيب غيره .

من حُرم مطالعة الإحياء ابتلي بنفسه وجهل بعد ذلك ذكر ربه . و من حُرم قراءة كتب الغزالي ما ميز المذموم من الممدوح .

من حُرم قراءة كتب الغزالي ما عرف حقيقة العلم والعمل والورع والتقوى .

من حُرم مطالعة كتب الغزالي فقد حُرم مطالعة نفسه وصفاته وقربات مقامات سلوك الطريق إلى معارف توحيد ربه .

بَخٍ بَخٍ لمن حافظ على أوقاته في صلاته من الجماعات في ليله ونهاره . وقد شرح الغزالي - أعني الإمام الأكبر والإكسير الأحمر - علم الشريعة و الطريقة ورمز رموزات الحقيقة في إعجوبة الزمان وهو كتاب إحياء علوم الدين ، الجامع بين التقوى الظاهر والتقوى الباطن ، الجامع بين الشريعة و الطريقة والحقيقة

- أعني كتاب إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي - والعمل على الكتاب والسنة - أعني بما في كتاب الإحياء هو الأسم الأعظم - .

خاتمة :

ما ذكرناه من كلام الإمام العيدروس في مدح الإمام أبي حامد الغزالي وكتبه هو موجز ومختصر وكلامه في مدح الإحياء كثير نسأل الله أن ينفعنا بما ذكرناه ...

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين